دراسات تاريخية المجلد 11 العدد 01 السنة 1445ه/2023م ص ص37/54



مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600



النخب القبلية والريفية في موريطانيا القيصرية خلال العهد الإمبراطوري الأعلى والأسفل Praefectus gentis أنموذجا

Tribal and rural elites in Caesarean Mauritania during the upper and lower imperial eras, Praefectus gentis, as a model.

توريرت مصطفى

Taourirt Mustapha

جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)

مخبر الدراسات التاريخية والحضارية للأوراس والصحراء الشرقية عبر العصور

البريد *mo.taourirt@univ-biskra.dz*

الارسال: 2023/01/25 القبول: 2023/09/09 النشر: 2024/01/05 المرسل: Taourirt Mustapha

الملخص:

لتسيير الفضاء القبلي والريفي الموري في مقاطعة موريطانيا القيصرية خلال العهد الامبراطوري الأعلى والأسفل استندت روما إلى سياسة قديمة عرفت بها المنطقة المغاربية وهي تعيين حكام قبليين –Praefectus; Principes gentis- على رأس القبائل المورية، وكان هؤلاء الحكام يختارون في البداية من المؤسسة العسكرية الرومانية ثم فيما بعد أصبحت النخبة الريفية المحلية خاصة بعض العائلات المرومنة هي المسؤولة عن قيادة وتسيير هذه القبائل، هذا الأمر سمح بتواصل وتشكل التنظيمات القبلية المستقلة بالمناطق التي لم يشملها الاستيطان الروماني مشكلة وحدات سياسية مستقلة نسبيا، ليظهر ما أسماه كورتوا بالجزر العائمة في وسط محيط روماني، هذه السياسة لها عدة انعكاسات، حيث أن روما استغلت تلك العائلات والأسر الكبيرة لتنمية علاقتها داخل القبائل لاستخدامها كواسطة بينهما وبين سكان القبيلة الواحدة، لذا لعب الحكام القبليين دورًا مهما في تطور المجتمعات الريفية في الأقاليم التي لا تخضع للسيطرة الرومانية المباشرة.

الكلمات الدالة: النخب الريفية، الحاكم القبلي، موريطانيا القيصرية، الفترة الرومانية، النقوش.

Abstract

*To manage the Mauri tribal and rural space in the province of Mauritania Caesare*an *during the upper and lower imperial eras, Rome adopted an old policy known to the Maghreb region,* **which is the appointment of tribal leaders -Praefectus; Principles gentis- at the head of the Moorish tribes. These leaders** ***were first chosen from the Roman military establishment, then later the local rural elite, especially some Romanizing families, were responsible for the leadership and management of these tribes. This allowed the continuity and formation of independent tribal organizations in areas not covered by Roman colonization, forming relatively independent political units, to show what Courtois called the floating islands in the midst of a Roman environment.***

This policy has several repercussions, since Rome exploited these large families with political and moral influence over the population, consolidating the relationship and working to develop its relationship within the tribes to use it as a mediator between them and the inhabitants of the same tribe. Therefore, tribal rulers played an important role in the development of rural societies in areas that were not under direct Roman control.

Keywords: Rural elites, tribal ruler, Mauretania Caesarea, the Roman period, inscriptions

مقدمة:

لقد أسهمت النقائش اللاتينية التي عثر عليها في مناطق شمال افريقيا في تفحص أهداف وطرق سياسة روما تجاه القبائل المحلية -المورية- سواء كانت خاضعة أو رافضة، هذه السياسة اختلفت على طول العهد الإمبراطوري -الأعلى والأسفل-، وبالتالي نتساءل عن كيفية إدارة هذه القبائل المحلية؟ وأي قسم اهتم به الرومان في تعيين القادة المشرفين عليها؟ الأجوبة التي تقترحها النصوص التاريخية تبدو متناقضة مسبقاً، لأن الحل الذي تبناه الرومان اختلف وفقاً لدرجة تطور القبائل، من حيث تجميع بعضها البعض، وتحويلها إلى مجتمعات شبه حضرية بطريقة ما، ومن ثم إرفاق البعض الآخر بمركز عسكري ومدني قائم بالفعل مثل قبيلة الزغرنسيين في موريطانيا الطنجية والزميزي في موريطانيا القيصرية، بينما تمكَّن آخرون من الحفاظ على وضعهم القبلي، مع استقلالية نسبية، ولكن الإشكال أيضا يكمن في تنوع المصطلحات التي تحدد الشخصيات المسؤولة عن قيادة القبيلة في النصوص التاريخية أو الإبيغرافية، دون التشكيك مرة أخرى في طبيعة هذا النوع من الجماعات، فالمسؤول الذي يتولى إدارة القبيلة عرف بعدة تسميات منها؛ الحاكم القبلي Praefectus gentis و Principes gentis وكذا Praefectus Castellum وPraefectus Civitas، غير أن المصادر بنوعها تستخدم بدرجة كبيرة مصطلح gens في ذكر هذه الجماعات البشرية المحلية والذي اختلف المؤرخون في ضبط معناه[1]، حيث يشير الرومان إلى أن gens هي الجماعات التي لا يحكمها القانون والعادات الرومانية المدنية، بل تسير وفق أعرافها الموروثة والتي سماها الرومان بالقانون القبلي Ius Gentium[2]، تعيش في بيئة قبلية داخل حدود الإمبراطورية وخارجها، كما يشمل المصطلح أيضا مجتمعات متنوعة من اتحادات قبلية كبيرة وعشائر عائلية صغيرة، يصعب تحديدها في كثير من الأحيان بسبب طبيعتها المتنقلة والمتغيرة[3].

تم التعرف على طبيعة العلاقات بين المجتمع القبلي والسلطة الرومانية من خلال الشهادات الأدبية والإبيغرافية القليلة كما أشرنا سابقا، حيث تُظهر هذه الوثائق أن موقف العشائر والقبائل من السلطة الرومانية كان متغيرا في الزمان والمكان، كما أن هذه الأخيرة تعاملت معها بحذر شديد، ذلك أن السيطرة العسكرية الرومانية كان لها بالضرورة آثار على المجتمعات المحلية، والحقيقة اللافتة خلال القرن الثالث وفي الفترة الإمبراطورية المتأخرة هي ظهور نوع من التطور السياسي الذي أدى إلى إعادة هيكلة القبائل المورية في شكل مجموعات مختلفة، هذه الحركة السياسية تشير إليها المصادر الإبيغرافية والأثرية المتفرقة، ويؤكدها بشكل بارز المؤرخ أميانوس خلال تناوله لثورة فيرموس سنة 372م، هذا النص مليء بالتفاصيل حول تنظيم الفضاء السياسي في الوسط القبلي والعلاقات المعقدة بين زعماء القبائل المرومنين والسلطة الرومانية، هذه القيمة السياسية مصحوبة بتحولات في الهياكل الاجتماعية-الاقتصادية وفي الذهنيات القبلية أيضا، أين لعب الحكام القبليين الذين كانوا يختارون في البداية من المؤسسة العسكرية، مثل قادة بعض الأجنحة والكتائب العسكرية، ثم فيما بعد أصبحت النخبة الريفية

المحلية -خاصة بعض العائلات المرومنة- هي من تتولى قيادة وتسيير هذه القبائل، ولعبت دورًا مهما في تطور المجتمعات الريفية في الأقاليم التي لا تخضع للسيطرة الرومانية المباشرة[4]، هذا التطور الذي يحصره الباحثين في تعاونها واندماجها مع السلطة الرومانية[5].

في الواقع، كل المصادر تشير إلى أن روما اعتمدت سياسة تعيين حكام قبليين خلال القرن الأول والثاني في مقاطعتي البروقنصلية ونوميديا، أما موريطانيا القيصرية والطنجية فقد تأخر تطبيق ذلك إلى غاية القرن الثالث والرابع بسبب الوضع المضطرب الذي كانت تعيشه هاتين الأخيرتين، وعدم قدرة روما على إسناد أمر القبائل إلى المراكز الحضرية، فعملت على احتوائها داخل مناطق محدودة، وتحتل خلالها الوحدات العسكرية المواضع الاستراتيجية، مما يؤدي إلى التدخل في حياة القبيلة، ومع ذلك، فإن العلاقات بين الرومان والسكان المحليين لم تكن دائما عدائية، إذا اعتبرنا الفترة التي تلت حملة الإمبراطور ماكسيميان في نهاية القرن الثالث حتى ثورة فيرموس في النصف الثاني من القرن الرابع هي فترة هدوء إذا استثنيا ثورة الدوارين والصراع الدوناتي، أين كانت روما تُعين مسؤول روماني على رأس هذه القبائل دون أن تُغَير في عاداتهم بل تركت نفس السلطات والمؤسسات المحلية في مكانها، طالما تخضع لها وتدفع الضرائب، فمن هنا يمكن أن نتساءل عن مفهوم النخب القبلية والريفية؟ وما هي الشواهد الأدبية والأثرية الدالة على وجودها؟ فيما يتمثل دورها ومهامها على مستوى القبيلة وعلى الصعيد الروماني؟ وما انعكاسات تواجد حاكم قبلي روماني أو مرومن على وضعية القبائل؟

1. **الحاكم القبلي Praefectus Gentis**:

فيما يخص هذه الرتبة التي يُعنى بها الحاكم أو القائد ومن على رأس القيادة[6]، فقد جاءت في عدة مستويات وظيفية، معظمها رتب عسكرية، غير أن أصحابها تولوا أيضا مناصب مدنية وإدارية مثل حاكم المدينة التي تحول من"Curtos Urbis" خلال العهد الملكي إلى حاكم حضري "Praetor Urbanus" في الفترة الجمهورية ليصبح خلال العهد الإمبراطوري باسم "Praefectus Urbi"، بالإضافة إلى رتب عسكرية منها "قائد الجناح أو الفرقة Praefectus Alae" و"قائد الكتيبة Praefectus Cohortis" و"قائد المخيم العسكري Praefectus Fabrum" وهو المشرف على التموين العسكري والحربي والمعدات الخاصة بالصيانة والأسلحة وحتى الفنيين المختصين في التخطيط الحربي"[7].

كما ظهر خلال عهد أغسطس منصب "Praefectus Castrorum" أي المشرف على شؤون المعسكرات والتحصينات[8]، بينما يتولى "Praefectus Praetori" قيادة الحرس البرايتوري المشرف على حماية الامبراطور وعائلته في روما واثناء تنقلاته الخارجية، وما يدل على وجود هذا المنصب في موريطانيا القيصرية ما نقرؤه في نقيشة خميس مليانة Zucchabar المؤرخة بما بين 249-250 م[9]، وفي الشق الاقتصادي نجد منصب "Praefectus Annonae" وهو الذي يشرف على المحاصيل الزراعية وتقييم احتياجات القمح في المدن الرومانية وإمكانية الاشراف على شراء القمح من الملاك الخواص، ومعاينتها

للتأكد من مدى تطابقها مع الاحتياجات في العاصمة روما[10]، كما يوجد ضمن القوات البحرية الرومانية منصب قائد السفينة "Praefectus Classis" ثم أصبح في أواخر العهد الجمهوري يعرف بـ " Praefectus Maritimae"[11] ونذكر هنا "ماركوس بومبونيوس فيتيليانوس Marcus Pomponius Vitellianus" الذي عثر على نقيشة تخلده في شرشال[12].

وفقا لبعض الاشارات الواردة في وثيقة المناصب العليا **Not. Dig.** فإن موريطانيا القيصرية خلال بداية القرن الخامس، كانت تمتلك إلى جانب الليمس الذي يحمي الحدود الخارجية للمقاطعة، سلسلة من الحدود الداخلية التي تسمح باحتواء السكان المتأهبين دائما للثورة[13]، وترتكز هذه الحدود على منطقتين مهمتين هما؛ منطقة القبائل ومنطقة الونشريس، حيث شهدت المنطقتين اضطرابات كثيرة خلال القرن الثالث، لذا يفسر Lengrand تدعيمهما بعدة أنظمة دفاعية داخلية خلال الفترة المتأخرة، خاصة مع وجود قوات قليلة في موريطانيا القيصرية؛ لهذا كانت أولوية روما هي مراقبة ليمس ما قبل الصحراء[14]، واستنادا إلى ذلك أصدرت روما قوانين تصب في هذا الميدان حسب Matthews، وقد اقترحت أن تكون هناك خطوط دفاعية داخلية تعهد إلى القبائل الحليفة مع روما التي عينت على رأسها إما حاكم أو أمير قبلي Praefectus Gentis [15]، ولكن تجدر الاشارة إلى أن هذا المنصب لم يَكُن وليد الفترة الإمبراطورية المتأخرة ولكن ثبت وجود عدة حكام قبليين منذ الفترة الامبراطورية العليا-كما سيأتي ذكرهم فيما بعد- غير أن أول إشارة إلى هذا المنصب في إفريقيا حسب كريستول تعود للنقيشة التي نشرها مؤخرًا وذكر فيها عبارة " praefectus nationum Gaetulicarum sex quaesunt" في نوميديا والتي مارسها L. Calpurnius Fabatus[16]، وتعتبر أول ذكر لوظيفة praefectus gentis التي يُفترض أنها كانت في عهد الإمبراطور نيرون "54-68م"، ووضعها فيما يتعلق بالتدابير التي اتخذتها روما للسيطرة على الفضاء الغربي من البروقنصلية[17]، في حين يرى البعض الآخر أن الحاكم القبلي تم دمجه في النظام العسكري الروماني قبيل حكم الامبراطور تراجانوس بقليل "96-116م"، لكن في الحقيقة لا يُعرف بالضبط متى تم إنشاء هذا المنصب، على الرغم من أن توحيدها يتزامن بوضوح مع تطوير الخطة الإستراتيجية التي وضعها الأنطونيين موضع التنفيذ في إفريقيا[18].

1.1 خلال الفترة الإمبراطورية العليا:

يرى بن نابو أن الحاكم القبلي بمثابة وكيل أو ممثل السلطة الرومانية في القبائل[19]، يسميه كامبس بالمسؤول الإمبراطوري[20]، غير أنه كما سبق وأشرنا يصعب الفصل بين ما يعرف بحاكم القبيلة أو العشيرة Praefectus gentis وحاكم القلعة Praefectus Castelli، فالأول يعتبر مندوب دولة، يعتمد على السلطة العليا، في حين الثاني هو مجرد قاضي بلدي، كما أن العشيرة والقلعة لا تتطابقان، قد يكون على أراضي العشيرة عددًا معتبرا من القلاع، وبالتأكيد، من المستبعد أن يتم تحديد اسم العشيرة استنادا إلى القلاع التي تخدمها كمركز، كما أنه من المهم عدم الخلط بين الحاكم القبلي في الفترة الامبراطورية العليا والسفلى[21]، بالنظر إلى التطور الذي حدث في الفترتين، فإن تحليل وظيفته خلالهما يسمح لنا بتمييز الفرق بينهما.

يرى أن الفرق بين الفترتين الإمبراطوريتين العليا والسفلى يكمن في أن الرومان وضعوا ضباط عسكريين على رأس القبائل الأكثر اضطراباً في المقاطعات الافريقية الشرقية، حيث قاموا برومنة القبائل والعشائر كما فعلوا مع المدن من خلال جذب النخب المحلية والزعماء التقليديون، أما في موريطانيا القيصرية والطنجية فلم تعتمد نفس النهج حتى بداية القرن الثالث ميلادي، ذلك أن روما كانت تعتمد على أسلوب القمع وتشتيت القبائل، أما في الفترة المتأخرة فقط بدأت في تطبيق سياسة مختلفة بشكل كبير عن تلك التي كانت تمارسها في بقية مقاطعات إفريقيا، فبدلا من السعي إلى اجتذاب القادة التقليديون، اتخذت روما خيار استقطاب الأرستقراطية المحلية[22]، مستفيدين من الانقسامات التي تشهدها، إن لم تكن سببا في ذلك، وهذا ما أدى إلى إنشاء النظام القبلي، نظرا للأهمية العملية في تثبيت سياسة إخضاع القبائل والتحكم فيها، خاصة القبائل الأكثر قوة، لذا قامت روما بتعين حكام يُعْرَفون بالقادة القبليين التقليدين على رأسها[23].

بالعودة إلى المصادر الإبيغرافية فقد خلدت لنا عدة إشارات تؤكد وجود حكام قبليين في موريطانيا القيصرية ابتداء من القرن الثالث، ويمكن تلخيصهم فيما يلي:

- تعتبر نقيشة عين الدفلى في سهل الشلف أقدم نقيشة بموريطانيا القيصرية والتي تشير إلى وجود حاكم قبلي بالمقاطعة، وهي تؤرخ بالنصف الأول من القرن الثاني ميلادي، حيث نقرأ فيها ما يلي:

---/praefect]o\ [Ala]e Thra\cum et gen\tis Mazi\cum ob de\bita virtu\te et indusitria.

Resp(ublica) Oppidon [o] vensium [pa]tro[no---[24]

نفهم من النقيشة أنها مكرسة لقائد الجناح التراقي وحاكم قبيلة المازيس، اعترافا بفضله ونشاطه، من قبل المدينة القريبة التي عاشت بقربها هذه القبيلة، ومن خلال الدراسة التي خصصها فليب لوفو لهذه النقيشة يورد عدة احتمالات، منها وجود صبغة عسكرية بهذه النقيشة التي تشير إلى دور الحاكم –بصفته قائد للجناح التراقي الثاني- في مراقبة القبائل التي تحيط بمستوطنة أوبيدوم نوفوم -عين الدفلى- خاصة قبيلة المازيس والذي تمكن من إعادة تنظيم وحماية هذه المنطقة، وكان ضمان استقرار المستوطنة مرتبط بحمايتها من هجمات المازيس ومنع توغلهم[25]، أو ربما مرتبطة بالأحداث التي عرفتها القيصرية خلال النصف الثاني من القرن الأول، أو لها علاقة بتوغل الرومان في سهل الشلف من خلال العمليات التي تولاها كل من القائد Sextus Sentius Caecilianus سنة 75م أو Caius Velins Rufits ما بين 84-86م، أو ربما تعود للهجوم الذي قامت به إحدى القبائل المورية في عهد البروكيراتور Titus Caesernius Sîatius Quintius Macedo، وبالتالي نرى أن السلطة الرومانية فكرت في كيفية وقف الهجمات المتكررة لهذه القبيلة عن طريق تعيين قائد جناح عسكري يتولى مراقبتها ورصد كل تحركاتها[26].

- الحاكم ستاتيليوس توروس T. Statilius Taurus الذي ذكر في نقيشة عُثِرَ عليها في حمام قرقور شمال غرب سطيف[27]، غير أننا لسنا متأكدين من صفته؛ هل هو حاكم قبلي Prae. Gentis أم حاكم مستوطنة Prae. Civitatis، والشيء نفسه بالنسبة أوريليوس إيلالاسن Aurelius Illilasen Rusuccuritanus[28]-الذي

كان يحكم إغاشان Iggechen بالقرب من جمعة سهاريج- هل هو expraefecto أو curator، حيث حاول Lengrand تقريبها من نقيشة أخرى عثر عليها بمنطقة جمعة السهاريج تذكر ex praefecto، وكان هذا اللقب يمنح لقدماء حكام القبائل Prae. gentis، لكن يمكن وضعها بالموازاة مع نص تيغزيرت Iomnium الذي يذكر يوليوس فليكس Rusuccuritanus C. Iulius Felix بصفته[29] Praefectus pro duoviris.

هذا النظام القبلي يتكون من قاضي يمارس مهامه في المناطق والتجمعات الريفية التابعة للمدينة، أين كانت تسيطر مستوطنة أزفون على مساحة كبيرة منها، بما في ذلك تيغزيرت خلال فترة سبتيميوس سيفيروس، حيث مارس يوليوس فليكس مهمته في هذه الأخيرة، أي على سلطة أوريليوس إيلاسن وهو مواطن روماني في تاريخ غير مضبوط، ربما بعد إعلان مرسوم كراكلا، ليؤكد أن الحاكم روسكيرتانيوس Rusuccuritanus مارس سلطته في تيغزيرت، وقد كون هذا الحاكم القبلي مجلسا تابعا للبلدية[30].

- كما نجد أيضا روغاتوس Aleizcinus Rogatus حاكم لقبيلة Nabuscorum أين عثر على هذه النقيشة في بجاية بالقرب من قلعة ديار مامي Castellum Tulei والمؤرخة بالقرن الثالث ميلادي[31].

- الحاكم أوريليوس إمتان M. Aurelius Imten الذي تولى رئاسة إحدى القبائل في ميشتراس Mechtras شمال جرجرة[32]، أين عثر على نقيشة تخلده وهي مؤرخة بسنة 241م[33]، وذكر بصفته Ex praefecto gentis Milidiorum وهو من أصول محلية.

- نقيشة قلعة خربة الغيدرة Sertei وهي إحدى قلاع سطيف[34]، حيث تشير إلى أن سكان هذه القلعة خلال حكم ألكسندر سيفيروس قاموا ببناء سور يحميها، وذكرت خلالها اسم الحاكم Helvius Instantibus Crescens والذي ذكر بصفته Pr. Gentis وترجمت بمعني Princeps، غير أن سبيدل يقدم قراءة جديدة[35]، إذ يطور المختصر "Pr" إلى عبارة Praefectus، خاصة وأن Helvius Crescens تقلد منصب ضابط جناح كلوديا الأول، وبالتالي من المقبول أكثر اعتباره كحاكم قبلي بدل أمير، ومن الواضح أن استرجاع نهاية النقيشة يمكن أن نقرأ فيها أن الاهداء مكرس للإله جوبيتر، وهو مهدى من قبل فيكتور سيكتيوس Sextius Victor، وهي مؤرخة بسنة 247م[36]، وهذا الشخص يحمل لقب دوكيريون Décurion، ومتبوع بعبارة Pr. G.N وتم تطويرها لتصبح Princeps gentis Numidarum وأدرج ضمن قائمة الأمراء، غير أن وجود عبارة defonsor publicus يوحي بوجود اثنين من الحكام برتبة Curatores، لذا يفضل Lengrand قراءة أخرى لـ "PR. GN" وهي[37] Praefectus Gentis Numidarum

- الحاكم بومبينيوس فيتيليانوس L. Pomponius Vitellianus الذي عثر على نقيشة تخلده في شرشال[38]، غير أنه لم يحمل لقب حاكم قبلي بالضبط ولكن ذكر بصفته "procurator ad curam gentium" كما أن اسم القبيلة التي كان يتولى تسييرها غير مذكورة، وهذه الوظيفة أثارت الكثير من الاحتمالات عند الباحثين، حيث يتساءل لوفو حول ما إذا كان بومبينيوس هو المسؤول عن رعاية عدد معين من القبائل التي لم يحدد اسمها، أو يسيطر على إدارة كل قبائل موريطانيا القيصرية؟ خاصة وأن النقيشة وجدت في العاصمة شرشال، وهذا من شأنه أن يترجم تنظيمًا أفضل لإدارة المقاطعة، ولكن يطرح هذا النص مشكلة إدارة

القبائل في موريطانيا[39]، أما بفلوم Pflaum فيرى أن هذا اللقب يترجم التكامل بين وظيفة رئيس القبيلة في نظام الهرمية لفئة الفرسان[40]، في حين يعتقد بن نابو أن هذا اللقب هو نوع من السيطرة العامة على الشؤون المحلية، وهو يفوق منصب الحاكم praefectus المعين على قبيلة ما[41]، ومن جهته يرى Lengrand أن هذا المنصب الذي جمع فيه بومبينيوس بين السلطة العسكرية والإدارية هي حالة ظرفية تزامنت مع الاضطرابات التي شهدتها موريطانيا القيصرية سواء في فترة حكم الكسندر أو في منتصف القرن الثالث ولكن يحتمل أنها تؤرخ بمنتصف القرن الثالث، وبمجرد تهدئة الوضع اختفى المنصب، ويضيف أن منتصف القرن الثالث شهدت موريطانيا القيصرية ظهور العديد من الحكام القبليين، حيث أصبح حاكم المقاطعة Praeses يتولى مهمة مراقبة الحكام القبليين، وتعيين بروكيراتور كرجل حرب كما هو موضح في منصبه الثاني، وبذلك سمح للحاكم بالخروج من مهام الشرطة إلى وظيفة مراقبة القبائل[42]، وبذلك تتزامن مهام القيادة العسكرية في المقاطعة مع الوظيفة القبلية، إنها بالفعل حالة استثنائية في شمال إفريقيا لا تظهر إلا في نصين[43]، هما نقيشة عين الدفلة[44] ونقيشة لوسيوس كالبيرنيوس[45].

- الحاكم ماركوس فورنيوس دوناتوس M. Furnius Donatus عثر على نقيشة تذكره في سور جواب Rapidum وهي مؤرخة بفترة الحكم الثلاثي فاليريان، غاليان، فاليريان الأصغر (355-359م)[46]، ويرتبط فورنيوس دوناتوس بالتأكيد بفئة الحكام القبليين الذين تم اختيارهم لهذه الوظيفة بسبب روابطهم المحلية[47]، ومن المرجح أن القبيلة التي كان يحكمها كانت بالقرب من معسكر رابيدوم -سور جواب-[48]، وقد وردت مبتورة في النقيشة بعبارة ..Masat، فيقترح لوغلي قراءتها gens Masatorum الواردة عند بلين[49]، والموجودة في جنوب الطنجية، ما بين وادي السوس Quosenum وواد يمسا Masathat[50]، ولكن من الصعب تقبل هذا الاحتمال لأن هذا التقارب يميل أكثر إلى عبارة Masati بدل Masathat، كما أن دوزانج يقترح استقرارها بموريطانيا القيصرية باعتبار النقيشة وجدت في رابيدوم، وهي مكرسة إلى الآلهة المورية[51].

يلخص لوفو الفترة الامبراطورية العليا في قوله بأن تعيين الحكام القبليين كان مفروضا على القبائل القوية والمقاومة للتغلغل الروماني، أين يعهد فيها مؤقتا لقائد أقرب وحدة عسكرية، وفي وقت لاحق وبالتوازي مع التقدم في رسم الطابع الروماني للنخب المحلية، عُهِد إلى شخصيات ذات دراية جيدة بالمنطقة، وربما من نفس القبيلة.

2.1 خلال الفترة الامبراطورية المتأخرة:

مع بداية القرن الرابع، تظهر كلمة الحاكم القبلي في كثير من النصوص الأدبية والقانونية والإبيغرافية، بهدف إدارة القبائل بالاتفاق والتنسيق مع السلطة الرومانية، حيث تظهر تطور كبير في هذه المؤسسة القبلية، إذ يشير أميان إلى ذلك في قوله:" طيلة حكمه، وضع (ثيودوسيوس) على رأس القبائل حكاما لتثبت ولاءها"[52]، ويضيف "القبائل المستهدفة هي قبائل تقع بالقرب من تيباتا[53] Tipata (ربما يقصد تيبازة أو تيغافا كاسترا بالقرب من نهر الشلف) وهي: Baiures, Cantauriani, Avastomates, Cafaves, Davares"، وجاء أيضا عند سيرفيوس في قوله:" إن حكام القبائل المورية، عند تعيينهم، يتحصلون على

الصولجان والرداء"، هذا وورد ذكرهم أيضا في قانون ثيودوسيوس المؤرخ ببداية القرن الخامس "405م" لتوضيح استئناف القضايا المختلف فيها:" من الامبراطورين وثيودوسيوس أوغسطس في ديوتيما، إلى بروقنصل إفريقيا: هي إرادتنا أن يراعى العرف القديم في القضايا التي تأتي للاستئناف، ونضيف الحكم التالي: إذا أراد البرابرة أو حكامهم أن يلجئوا إلى محكمة الاستئناف، من المعتاد انتظار الحكم الصادر من محكمة الإمبراطورية، أي من قبل بروقنصل رافينا، صدر خلال القنصلية الثانية لستيليكون وأوثون، في اليوم الحادي عشر من شهر أغسطس"، ويشير إليهم أيضا القديس أغسطين:" في الواقع، بيننا، في إفريقيا عدد لا يحصى من الشعوب البربرية التي لم تُدرَّس بعد الإنجيل ... البعض منهم وهي بأعداد قليلة جداً وهي مسالمة، ترتبط بالأراضي الرومانية في ظروف لا يملك فيها ملوكهم، ولكن عُين على رؤوسهم حكام ومحافظين عينتهم الإمبراطورية الرومانية؛ هؤلاء الناس وحكامهم بدأوا ليكونوا مسيحيين"[54].

ومن جانب النصوص الإبيغرافية نجد أيضا عدة تسجيلات تذكرهم، نجد منها:

- نقيشة ماركوس أوريليوس ماسياسيلان M(arcus) Aurelius Masaisilen التي عثر عليها في لاربعاء نايث إيراثن بالقبائل الكبرى، وذكر بصفته ex pr(a)ef(ecto gentis) V[55]، وهي مؤرخة بسنة 328م، يترجم كورتوا حرف "V" برقم خمسة ويرى أنه يقصد به قبيلة الحلف الخماسي[56]، غير أن لوفو يتحفظ عن ذلك[57]، أين ذُكِر ماسياسيلان بأنه يتولى أيضا تسيير معسكر صغير centenarium وهو من بين المعالم العسكرية في الفترة المتأخرة[58]، ولكن Lengrand يرى أنه لم يوظف في المهام العسكرية بشكل خاص[59]، وأن معسكر أوريليوس ماسياسيلان بمثابة فيلا تحمل نفس لقب قلعة اوريليوس فاسافان Aurelius Vasefan في عمي موسى[60]، وقلعة النادور وكذا الكووة[61].

- أوريليوس إربانيس ماستيليوس Aurel(ius) Urban\us Mastlius الذي حمل لقب ex praefecto gentis وكانت إقامته بالقرب من البويرة[62]، لم تذكر القبيلة التي كان يحكمها، غير أن لوفو يقترح قبيلة النابابا س[63].

- أوريليوس فيندكس الذي حمل نفس اللقب ex praefecto gentis[64] وكان يقيم في جمعة السهاريج خلال القرن الرابع ميلادي، لم يذكر بشكل دقيق بأنه حاكم قبلي، ولكن ما هو مؤكد هو أنه زعيم تقليدي تم تكريس قوته من قبل الرومان، ويرى لوفو بأن تعيينه بتلك المنطقة الجغرافية كان بسبب صعوبة اختراق تلك المناطق فاكتفت روما بتعيين حكام قبليين هناك خاصة بعد ثورات القرن الثالث[65].

- وفي نفس الفترة نجد الحاكم أوريليوس نيكفيس Aurelius Nucfus ابن اوريليوس مازيكان Aurelius Mazucan الذي تقلد منصب قائد الفيلق الأرميجيري legio palatina Armigeri وكذا حاكم قبيلة المازيس Madicum[66]، اختلف الباحثون في تأريخها غير أن لوفو يقترح نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس[67]، خاصة وأن أميان ذَكر فيريكيوس Firicius كحاكم لهذه القبيلة خلال ثورة فيرموس سنة 372م[68].

- نقيشة الحاكم ستابيليوس ماريانوس T. Stabilius Marianus التي عثر في حمام قرقور شمال غرب سطيف[69]، لسنا متأكدين من صفته هل هو حاكم قبلي Prae. Gentis أم حاكم مستوطنة Prae. Civitatis، يرجعها كل من لوفو وبن نابو إلى القرن الثالث أو الرابع، استنادا إلى الآلهة التي كرس لها هذا النصب الإهدائي"sub ascia"[70].

نلاحظ مما سبق تناوله أنه من أصل 13 حاكم قبلي نجد من بينهم أربعة عسكريين، فما بين نهاية القرن الثاني والقرن الخامس ميلادي عينت روما ضباط عسكريين على رأس القبائل الأكثر اضطرابا، ثم قامت بتعميم العملية بسبب الحمل الإضافي الذي وفرته هذه الوظيفة، هذا وتعرفنا أيضا على ثلاثة حكام من قبيلة المازيس اثنين منهم عسكريين، مما يوحي بأن هذه القبيلة كانت غير آمنة طيلة فترة الاحتلال الروماني، أما بقية الحكام القبليين فقد عينوا من المدنيين، حيث نجد خمسة من أصل ستة حكام ذووا أصول محلية، وعلى الأرجح يعينون من القبائل التي يرأسونها، حيث نجد حاكم واحد فقط أجنبي وقد حكم في نهاية القرن الثاني، بمعنى لدينا عينة واحد على الفترة العليا، ومن أصل ثمانية حكام مدنيين، نجد من بينهم خمسة حملوا اسم أوريليوس، وأربعة منهم حملوا لقب ماركوس Marcus، وبالتالي كانوا من العائلات التي حملت المواطنة الرومانية بفضل مرسوم كركلا.

2. دور الحاكم القبلي:

عادة ما يعهد منصب الحاكم القبلي gantis praefectus إلى ضباط رومان من فئة الفرسان، أو القادة السابقين للأجنحة والكتائب، ولهم سلطة مدنية وعسكرية على القبيلة التي تم تعيينهم عليها، حيث يذكر Chausa أنه يحتل المرتبة العليا في التسلسل الهرمي العسكري، وهو منصب defensor، وأن رأيه هو السائد، وهو الذي يعمل على تصحيح الاتجاهات البعيدة عن مصالح روما، ولهذا السبب يعمل بالتواطؤ مع المناصب العليا الاقليمية المدنية والعسكرية[71]، ويتمثل دوره في ضمان أمن المنطقة ومراقبة القبائل المقيمة هناك[72]، وتطبيق القوانين الرومانية على الأهالي في حالة السلم، كما أنه في حالة تمرد هؤلاء يتصدى لهم بكل الوسائل المتوفرة لديه، دون اللجوء إلى الإدارة الإقليمية أو المركزية إلا في حالة الضرورة القصوى، ويضيف Chausa أن مهمة الحاكم القبلي هو السيطرة على تحركات القبيلة التي عين على رأسها، بهدف استيعابها وتقييد المجموعة القبلية وابقائها مرتبطة بالسلطة الرومانية[73]، خاصة القبائل التي تشكل خطرا على هذه الأخيرة[74]، وبهذه الطريقة تُضعف قوة السكان الأصليين وقدرتهم العسكرية، ويتم حماية منطقة حساسة بشكل خاص، مثلها مثل أراضي الإمبراطور، وحسب رأي Chausa دائما فإن الغرض الأساسي من praefectus gentis هو إضعاف قوة القبائل، لهذا السبب، فإنها أفضل طريقة من النقل القسري للساكنة القبلية، وبهذه الطريقة تتمكن –روما- من فصل أجزاء من نفس القبائل عن بعضها البعض، بحيث يفقدون التماسك العام ولا يمكنهم تطوير استراتيجيات قبلية وحدوية ضد روما، إن الضعف السياسي والعسكري للمعارضة المحلية هو أفضل نتيجة ممكنة لروما، وبهذا المعنى، نحن سنتعرف على سلسلة من البيانات الإبيغرافية التي أرى أنها تسمح لنا بالتحدث عن الاحتياطيات القبلية

"الأصلية" في فضاء شمال إفريقيا، والتي هي نتيجة التشتت الجزئي والمصطنع للمجموعات القبلية الخطيرة التي خلقت في لحظات معينة اتحادات حربية ضد روما[75].

كما أنه -الحاكم القبلي- مسؤول عن مدى التزام القبائل بدفع الضرائب، ويساعد هذا الحاكم القبلي عدة موظفين مثل Dilectator Tironum أي الضباط المسؤولون عن التجنيد publilius memorialis، ويساعده في ذلك اثنين من القادة gentes لتنظيم القوات التي تقيم بالقبيلة، مما يفترض أن التجنيد كان أحد العناصر الرئيسية لوظيفة المحافظ القبلي، وفي هذا المعنى نفسه، من الممكن جدًا أن تتمكن روما من الوصول إلى "تفاصيل دقيقة" مع ممثلي القبائل بفضل معرفتهم للغات البربرية الليبية، إن عبارة "بالتفصيل" لا تعني فقط جذب المصالح السياسية والاقتصادية والتجارية لكل قبيلة بعينها، ولكن أيضًا معرفة خصائصها الثقافية والدينية كما لو كان كل حاكم قبلي عنصرًا حقيقيًا في القبيلة الخاضعة لولايته القضائية، حيث يقدم تقارير عن المشكلات الداخلية للمجموعة القبلية، ويسعى للخروج بجملة من المواقف السياسية الوسطية التي ترضى الطرفين[76].

ومع ذلك، يصعب تحديد هذه الوظائف ولا مدتها، ويمكن للمرء أن يتساءل على وجه الخصوص عما إذا كان الحاكم الروماني يحل محل السلطة المحلية بصورة نهائية أو مؤقتة، يبدو أن الحاكم القبلي يستمر في أداة مهامه استنادا إلى قدراته العسكرية ومعرفته الجيدة بكل حيثيات المجال والإنسان داخل هذه القبيلة[77]، وخير دليل على ذلك سلسلة الحكام القبليين الذين مروا على حكم قبيلة المازيس ابتداء من قائد الجناح التراقي في القرن الثاني ثم Fericius خلال ثورة فيرموس وأوريليوس Aurelius Nucfus في القرن الرابع أو الخامس، مما يوحي بأن قبيلة المازيس كانت دائما موجّهة من قبل الحاكم القبلي، وهو دليل على أن القبيلة قد احتفظت باستقلالها وتماسكها وعدائها لروما، ويبقى العنصر الأكثر إثارة للاهتمام هو جمعه بين السلطة العسكرية والإدارية، ومما يؤكد أيضا الطابع العسكري الذي تفرضه هذه الأنظمة القبلية، كذلك أن معظم الحكام من فئة الفرسان، لذا يبدو أن لهم روابط قوية في المنطقة، حيث استطاعوا نقل هذا المنصب إلى رؤساء القبائل المحليين خلال الفترة الإمبراطورية السفلى دون حدوث خلل إداري حسب تعبير فليب لوفو، وبالتالي مثلت نقيشة عين الدفلة أهم نموذج للسيطرة الرومانية على القبائل القاطنة بمنطقة حوض الشلف ما بين عهد دوميتيانوس وتراجانوس[78].

كما ساهم هؤلاء الحكام القبليين –المحليين- بشكل فعال في مراقبة قبائل موريطانيا القيصرية، والحفاظ على السلام لفترة طويلة، مما وفر على روما إنشاء إدارة متخصصة، كما أن روما كانت بحاجة إلى أشخاص يعرفون تضاريس المنطقة ولهم بيانات موثوقة حول مشاكل كل قبيلة (المشاكل التي يعاني منها السكان الأصليون، وقبل كل شيء المشاكل التي يمكن أن تحدثها لروما)، وبذلك ساهموا في عودة الهدوء والتقليل من القوات العسكرية الرومانية بالمنطقة، وهذا ما تؤكده -حسب Lengrand– السهولة التي وجدها فيرموس في السيطرة على معظم مناطق موريطانيا القيصرية[79]، وما يدعم ذلك، نقيشة وجدت في تخمارت تخلد أحد زعماء القبائل توفي في قتال ضد إحدى القبائل المورية إلى جانب الرومان، نقرأ فيها ":

هنا يرقد شاب كان جنديًا يحمل اسما لامعا وهو؛ أولبيوس أوبتاتوس، كان يمارس القيادة ويحمل عصا وهي علامة قيمته، ينحدر من سلالة قديمة، اعترض وسحق في الجبال المحيطة العديد من الأعداء الأشداء وواجه حروب مدنسة، لقد فعل ما لا يستطع الكثير من شباب العشيرة القيام به، كان يطلق العنان لغضبه، هذا الشاب الروماني المحارب يرمى بنفسه في وسط ضربات العدو، ويخرج فائزا مع ذلك، محاط بكامل سمات.... القبيلة"[80].

هذا ويشير دوزانج من جهته إلى أن:"روما مارست نفوذها على القبائل بواسطة العائلات الكبيرة ذات النفوذ والسمعة الواسعة، حتى قبل أن تبدأ في تحويل التكتلات المحلية إلى مدن رومانية"[81]، فاندماج هؤلاء القادة القبليين في إطار المدينة الرومانية يفسر كيف أن السلطات الرومانية سرعان ما تحولت لتطبيق ما عرف بالمحافظة القبلية، أين قامت هذه الشخصيات بدمج القبائل المعنية في إطار البلدية الرومانية[82].

يعلق بن نابو على أهمية هذا المنصب في قوله بأنه كان ضروريًا وحلاً عاجلاً، لكسر المقاومة المورية، وللسيطرة على القبائل أو دفعها الى الخضوع والاستسلام، مما فسح المجال لظهور فترة من الاستقرار وترتيب أمور المقاطعات، لذلك فظلت الإدارة الرومانية العودة إلى واحدة من أقدم ممارساتها من خلال التسامح وتعيين شخصيات على رأس القبائل المحلية؛ مثلها في البداية ضباط عسكريون رومان ثم شخصيات محلية مرومنة، وظلت هذه الممارسة شائعة حتى في عهد الإمبراطورية السفلى[83].

ومن جهته يستدل ماتهاوس Matthews–كما سبق وأشرنا سابقا- بقانون ثيودوسيوس التالي:" إلى غودنسيوس Guadentius وكيل افريقيا، لقد علمنا أن أراضي منحت لحلفائنا بغرض ضمان وحماية الليمس والخندق قد شغلت أحيانا من طرف أشخاص عاديين، ليعلم جيدا الذين يسعون إلى اشباع رغباتهم الجشعة والمتلهفة للاستيلاء على هذه الأراضي أن عليهم التفاني في عملهم لصيانة الخندق وحماية الليمس مثل الذين كلفناهم بها في العهد القديم، وإن لم ينفذ هذا الشرط ليعلموا أن أبسط العقوبات التي تسلط عليهم تكون بتحويل هذه الأملاك إلى حلفاء، إذا وجدناهم أو على الأقل وهذا مؤكد إلى قدماء الجنود حتى لا تهمل الاجراءات، ولا نخشى أي خطر في أي جزء من الخندق والليمس"، أما رومانيلي فيرى أن الدفاع عن الليمس والخندق وحمايتهما كان من مهام بعض القبائل، وهذا يعني وفقا له أن "السكان المحليين الذين اعترفوا بسيادة روما، حافظوا في الواقع على استقلالهم، وفي هذه الحالة يعقدون نوع من التحالف foederati، على أن يسمح لهم بزراعة الأراضي الواقعة على طول الحدود والاستقرار فيها، مقابل الالتزام بالدفاع عنها"[84]، ويؤكد ذلك ماتهاوس بأن:" رجال القبائل كان دورهم الحفاظ على الليمس والخندق"[85]، وتجدر الإشارة هنا إذا سلمنا بهذه الفرضية، فهذا يعني أن هناك وضعاً يختلف اختلافاً جذرياً عن مناطق أخرى مثل ليمس جرمانيا، ففي الواقع، هناك على الليمس، يقف الحلفاء بالفعل في حراسة الحدود وحتى المناطق الداخلية، ولكن الأمر يتعلق بالشعوب التي كانت في الأصل خارج الإمبراطورية، والذين تم توزيعهم على الحدود لوضع مواهبهم الحربية في خدمة روما، بدلا من قتالهم[86].

وهكذا، فإن البعد الإداري لوظيفة الحاكم القبلي قد تَفَوق بسرعة على طابعه العسكري، حيث وضعت روما أولويتها في الحد من مقاومة القبائل، وهو الحل الذي يعتمد على متطلبات الإدارة المحلية[87]، فَمِنْ ضابط عسكري إلى أحد أعيان المدن أو القبيلة-كما هو الشأن بالنسبة فاريوس دوناتوس وهو قاضي وفارس روماني في رابيدوم- الذي مارس جاذبية معينة للنخبة القبلية، فأصبحت هذه الوظيفة لها صلات خاصة مع المجتمعات التي يديرونها، فاستطاعت بذلك مؤسسة الحكام القبليين تحقيق نوع من الاستقرار الظاهر، وتحسين في وتيرة علاقات روما العسكرية والمدنية مع القبائل في المناطق التي تشهد مقاومة مستمرة، أغنتها لفترات ما في استخدام القوة، غير أن هذه الوضعية بقيت تمثل صورة عن وضع صعب ومضطرب عايشته الامبراطورية الرومانية في المنطقة الموريطانية، وفي المجمل يقول chausa أن praefectus gentis يساهم بطريقة رائدة وجوهرية لإنشاء وإدارة وتطوير هذه الاحتياطيات من السكان الأصليين، وسوف يضمنون أيضًا فعاليتهم للعملية ويساعدون في إيجاد مساحات مناسبة ومريحة لروما في المناطق النائية، وفي مناطق النزاع، وفي المناطق التي توجد فيها إمكانيات مقبولة للبقاء، ولكنها لا تهم روما كمساحات منتجة وسكنية[88].

خاتمة:

وبالتالي يمكن في الأخير إيجاز الطرق التي بموجبها مارست روما سيطرتها على القبائل، اعتمادا على وضعهم فيما يتعلق بالقوة الرومانية في النقاط التالية:

- القبائل الموجودة في المناطق التي لا يمكن فرض السيطرة الرومانية الدائمة عليها، والتي تتحقق بشكل خاص عن طريق الاحتلال العسكري، ونظرا لوقوعها في مناطق جبلية مثلا، هذه المجموعات التي حافظت على هوية قبلية قوية، يتم ربطها بعلاقات دبلوماسية كما يتضح من معاهدات أمراء البكوات والبافار.

- القبائل الموجودة في المناطق التي تسيطر عليها روما مباشرة والتي يعتمد وضعها بعد ذلك على طبيعة العلاقات مع السلطة، حيث لا يوجد تدخل منهجي من جانب روما في إدارة هذه الشعوب باسم الحق في الحكم الذاتي المحلي، اعتمادًا على درجة الثقة في العلاقات الثنائية، يتم تعين حكام وأمراء قبليين على رأس هذه القبيلة، لاستثمارهم في القوى العسكرية والمدنية، ولكن كان من الممكن أن تتطور هذه الوظيفة ويختار من القبيلة نفسها، ومن الناحية المدنية كان هدف روما في كلتا الحالتين، تشجيع التطور من وضع gentes إلى نموذج ciuitas، وتتطلب مثل هذه السيطرة إتقانا للفضاء الذي يتم تجسيده بواسطة معالم حدودية مسجلة بين المدن والقبيلة، وبين القبيلة والقبيلة، وبين مجالات الأفراد ومجالات الإمبراطورية، غير أن الشيء الايجابي في هذه السياسة يكمن في تزايد نفوذ هذه التنظيمات القبلية حتى أصبحت تشكل تنظيمات إقليمية عرقية كبرى، والتي قبلت روما في الواقع استقلالها، ابتداءً من القرن الخامس وبرزت بشكل كبير في القرن السادس، فقد أنجب هؤلاء الحكام والأمراء القبليين ممالك مورية رومانية صغيرة على أساس التحالفات بين القبائل مثل ملك قبيلة المور والرومان Rex gentium Maurorum et Romanorum، وملك كتامة Rex Gentis Ucutumani، الملك ماسونا Masuna بأولاد ميمون غرب القيصرية، وإمارة مازونا أو مملكة

الونشريس (لجدار)[89] ، ويرجعها البعض إلى علاقة التحالف foedera مع روما استنادا إلى الوثائق الابيغرافية السابقة[90]، في حين يعطيها شنيتي قراءة أخرى باعتبارها محاولات لاستعادة الوحدة السياسية والعسكرية، ذات المضمون الكونفدرالي الذي درجت عليه بلاد المغرب منذ فجر التاريخ، وبلغ أوجه في الممالك النوميدية والمورية عشية الاحتلال الروماني، ثم نجحت القبائل المورية في بعثه من جديد أواخر العهد الروماني وأثناء الاحتلال الوندالي[91].

الهوامش والإحالات:

[1] المصادر اللاتينية جمعت تحت مصطلح (gens) مكونات عديدة، فمرة أطلقته على مجموعات كبيرة تتكون من عدة قبائل مثل المور أو الجيتول أو الاثيوبيين، وشغلت مجالا واسعا (Pline, H. N, trad. Jehan Desanges, éd les belles lettres, paris, 1980, V, 9, 16-17. ; Ptolémée, Géographie, (trad. Par Muller, Hachette, Paris, V, 6, 6)، كما استخدمه أيضا بلين حين تحدث عن قبيلة الموزولام التي ساندت تاكفاريناس (Tacite, Les Annales, Edition Hoelzer, H.C.U.F., 1966, II, 52) وفي موضع آخر يذكر قبيلتي المور والجرمانت بصيغة أمم Natio، (Tacite, Annales, II, 23-24)، وفي مواضع أخرى أطلقته -المصادر- على اتحادات تتكون من أكثر من قبيلة، مثل إتحاد البافار والبكوات، الذي تمت الاشارة إليه بصفة قبيلة واحدة gens، (Euzennat (M), *Les structures tribales dans l'Afrique préislamique, un état de la question*, dans monuments funéraires, institutions autochtones. L'Afrique du Nord Antique et Médiévale, éd. CTHS, VIe colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord, (pau, oct. 1993- 118e congrès), paris, 1995, p 251.) وأحيانا على قبيلة محددة، وأحيانا أخرى على جماعة صغيرة منفصلة عن القبيلة، أي قسم pars من قبيلة (Pline, V, 17)، وهو الأمر الذي أثر على ترجمتها بالنسبة للمؤرخين الغربين، مما دفع بعضهم إلى الحفاظ على الكلمة اللاتينية Gens بدل ترجمتها إلى قبيلة أو شعب أو أمم، غير أن قزال يرى أن المصطلح يمكن مطابقته على العشائر المورية أكثر منه إلى القبائل (Gsell (St), H.A.A.N, T V, libraire Hachette, paris, 1927, p 54-55)، في حين يستعملها دوزانج في موضع بمعنى قبيلة tribu وفي موضع آخر بمعنى شعوب peuples (Desanges (J), Pline, op-cit, 19-17.; Ibid, une notion ambiguë :la gens africaine, réflexion et doutes, BCTH. B, N° 23, 1992, pp 169-176)، أما ألفريد إرنو فيوظفها في ترجمته لكتاب ساليست "حرب يوغرطة" بمعنى أمم nations (عبد العزيز أكرير، تاريخ المغرب قبل الإسلام، الممالك المورية الأمازيغية قبل الاحتلال الروماني، قراءة جديدة، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008، ص 215)، وقد فصلت حمدون في هذا الاختلاف الوارد في المصادر الأدبية خاصة وكذلك الاستخدامات المتنوعة لمصطلح gens وNations. للمزيد ينظر: Hamdoune (Ch), Nationes et espace provincial, Afr. Rom., N° 20, Momenti di continuità e rottura : bilancio di trent"anni di convegni, (éd) Ruggeri (P), Atti del XX convegno Internazionale di studi Alghero- Porto contre Ricerche, 26-29 settembre 2013, Carocci editore, Rome, 2015, pp1009-1020).

أما من حيث الاستخدام فهو لا يقل صعوبة أيضا من ضبط معناه، فبن نابو يعرفه بأنه "تنظيم مميز، وله خصوصية قانونية واستقلالية دينية، بل يبدوا أنه يتمتع بحقوق معترف بها من طرف الإمبراطور نفسه" (Bénabou (M), Bénabou (M), La Résistance africaine à la romanisation, Maspero, Paris, 1976, 447)، وأشار فيفري أن الرومان كانوا ينظرون إلى gens بأنهم أقوام أجنبية ومتخلفة من وجهة النظر القانونية، (Février (P.A), Masuna et Masties, Ant. Afr., N° 224, 1988, p 138))، أما كامبس فيقر بصعوبة معرفة ما إذا كان تصنيف الأنساب قد عمم لدى البربر من قبل بفضل العرب، الذين تعودوه من قبل ظهور الاسلام، أو أنه كان موجودا في العهد الروماني، إلا أن مؤرخي هذا العصر قد أهملوه، لتمسكهم بالتصور الاقليمي للقبيلة (Camps (C), Berbères. Aux marges de l'Histoire, éditions des Hespérides, Paris, 1980, pp 111, 120-121.)، وإذا عدنا إلى لوحة بناصا المؤرخة بما بين 168-169م فقد برزت جانب من التكوين القبلي الذي يعتمد على الأسرة Domus كنواة رئيسية، والتي تكون العرش Familia الذي يضم عدة أسر، وعلى درجة اعلى منه نجد قبيلة gens والتي تشكل اتحاد لهذه الأعراش.(I.A.M, 94.)، وتخلص حمدون إلى أن"Gens" يمثل مجتمع منظم، معترف به على هذا النحو من قبل روما، ومحدد بشكل جيد، غير أن استخدام كلمة"Natio" لها جانب إثنوغرافي حسب ما جاء عند أميان مارسيلان، (Hamdoune (Ch), Nationes..., op-cit, p 1011)، فكلمة natio تشير إلى شعب يحتل منطقة بالمفهوم الجغرافي وليس إلى بنياته بالمفهوم الاجتماعي - السياسي.(Ibid, p 1015).

[2] Hamdoune (Ch), Gens, Gentes Gentiles, Ency. Ber, N° 20, Edisud, Aix-en-Provence, 1998, pp 3045-3052.

[3] Arcuri (R), *"Exitiabile genus Maurorum" e "Imperium romanum": evoluzione nei rapporti di potere in Mauretania durante l'Alto Impero*, dans *Afr. Rom., N° 19, 2012,* pp 965-978.

[4] Hamdoune (Ch), *Adfines Africae Romanae*, Les mondes tribaux dans les provinces maurétaniennes, Ausonius édit. Bourdeaux, 2018, p 153.

[5] Hamdoune (Ch), Nationes…, op-cit, p 1012. ; Ibid, *«Mons Africae uel fabulosissimus Atlas». L'Atlas de Pline l'Ancien*, «Latomus», N° 68, 2009, pp 101-116. ; Seston (W), Euzennat (M), *Un dossier de la chancellerie romaine, La Table Banasitana, Etude de diplomatique*, C.R.I.A, V. 115. N° 3, 1971, p 489 ; Rebuffat (R), les grandes tribus des confins : insurrection et alliances, in Vallet et kasanski, 1993, p 77.

[6] Brillant (A.), Furetière (A.) , Dictionnaire universel François et latin, Paris: Par la Compagnie des libraires associés, 1771, p 327.

[7] للمزيد ينظر: رابح عيساوي، الرتب العسكرية النخبوية للجيش الروماني في مقاطعتي إفريقيا البروقنصلية وموريطانيا القيصرية خلال العهد الإمبراطوري الأعلى 27 ق,م-284م، أطروحة دكتوراه (ل.م.د) في تخصص تاريخ بلاد المغرب القديم، قسم العلوم الإنسانية، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2020-2021، ص ص 180-181.

[8] Saddington (B.D.). "Early Imperial "praefecti Castrorum"." Historia: Zeitschrift Für Alte Geschichte 45, N° 2 ,1996, p 244.

[9] C.I.L VIII., 09611b.

[10] Hoof (L.), Peter Van (N.). Literature and society in the fourth century AD: performing paideia, constructing the present, presenting the self. Leiden ; Boston : Brill U.S.A, 2015, p 147.

[11] Wheeler, Everett (L.). Roman Fleets in The Black Sea: Mysteries of the "Classis Pontica", " Acta Classica", N° 55, South Africa, 2012, pp 119-154.

[12] C.I.L VIII, 09327.

[13] Cagnat (R.), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1éd. 1892 ; 2 éd. 1913, pp 753-755 ; Courtois (C.), Les Vandales et l'Afrique, arts et métiers graphiques (A.M.G.), paris, 1955, pp 84-86 ; Matthews (J.F.), Mauretania and the Notitia, dans : Goodburn R. et Bartholomew Ph., Aspects of the Notitia Dignititatum, BAR, Supplementary Series 15, Oxford, 1976, p 169.

[14] Lengrand (D), Le limes interne de Maurétanie césarienne au IVe siècle, et la famille de Nubel, in : Frontières terrestres, frontières célestes dans l'antiquité, Rousselle E., Presses universitaires de Perpignan, 1995. p 144.

[15] Matthews (J.F.), Mauretania and the Notitia…, op-cit, p 170.

[16] *CIL* v, 5267 (*ILS*, 2721). ; Christol (M.), *Theveste: centre administratif à l'époque impériale*, «Aouras», N° 6, 2010, pp 83-87. ; Leveau (Ph), L'aile II des Thraces, la tribu des Mazices et les praefecti gentis en Afrique du Nord. In: Ant. Afr., N° 7, 1973, p 175. ; Hamdoune (Ch), Nationes…, op-cit, pp 1015-1016.

[17] Chausa (A.), *Los praefecti gentium en el contexto del Africa romana*, dans *L'Afr. Rom.*, Le ricchezze d ell"Africa. Risorse, produzioni, scambi, Atti del XVII convegno di studio Sevilla, 14-17 dicembre 2006, (éds), Gonzàlez J. Ruggeri P. Vismara C. Zucca R., Carocci editore, Roma, 2008, pp 2171- 2178.

[18] CIL VI, 3270 = 31032. ; Cagnat (R), L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1 éd. 1892 (2 éd. 1913), p 265. ; Pflaum (H.G), *Les carrières procuratoriennes équestres sous le Haut-Empire romain,* t. I, Librairie Orientaliste P. Geuthner, paris, 1960, p 124, 593.

[19] Bénabou (M), op-cit, p 449.

[20] Camps (G.), « Firmus », Ency. Ber. N° 19, Edisud, Aix-en-Provence, 1998, p 2846.

[21] Bénabou (M), op-cit, p 449.

[22] Cesare Letta, I praefecti di tribù non urbanizzate in Africa e in Europa, Lo spazio marittimo del Mediterraneo occidentale, Atti del XIV conveggno di studio, Sassari, 7-10 dicembre 2000, V3, Carocci editore, 2002, p 2105, N° 60. ; Lepelley (C), la préfecture de tribu au bas empire, Mélanges Seston w., paris, 1974, p 288.

[23] Bénabou (M), op-cit, p 450. ; Lengrand (D), Le limes intérieur de la Notitia Dignitatum. Des Barbares dans l'Empire, dans Frontières et limites. Hommage à P. Salama, P.U.S., 1999, p 233. ; Lepelley (C), op-cit, pp 287-288. ; Leveau (Ph), L'aile II des thraces.., op-cit, pp 175-186.

[24] A.E, 1973, 654. ; Leveau (Ph), op-cit, pp 153-156, et pp 186-191

[25] Ibid, p 189.

[26] Ibid, pp 190-191. ; Rachet (M.), Rome et les Berbères, un problème militaire d'Auguste à Dioclétien, Bruxelles, 1970, pp 150-151 et 156-157. ; Salama (P.), Les Voies romaines de l'Afrique du Nord, Imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, S.D, p 26. ; Baradez (J.), Les nouvelles fouilles de Tipasa et les opérations D'Antonin le Pieux en Maurétanie, Libyca ar-ep., II, 1er sem., 1954, pp 89-147. ; Hamdoune (Ch), Les Mondes Tribaux.., op-cit, pp 120-121.

[27] C.I.L., VIII, 21231.

[28] A.E, 1985, 901. Martin (J), Extrait du catalogue des inscriptions latines de bassin de l'isser et de l'oued Sebaou, B.A.A, N° 7, 1977-1979, pp 78-80, N° 11. ; Hamdoune (Ch), Les Mondes Tribaux.., op-cit, p 166. N° 55.

[29] C.I.L., VIII, 8995. ; Lengrand (D), Le limes intérieur…, op-cit, p 228.

[30] Lengrand (D), op-cit, p 228.

[31] A.E, 1992, 1609. ; Desanges (J), Note sur une inscription funéraire des environs de Naciria (ex-Haussonviller), BCHT, n.s, 22, 1987-1988, [1989], p 128. ; Viré (C) ; inscription inédite d'Haussonviller, RSAC, N° 45, 1911, pp 305-308. ; Hamdoune (Ch), Les Mondes…, op-cit, p 156, N° 9.

[32] Hamdoune (Ch), Témoignages épigraphiques de l'acculturation des gentes en Maurétanie Césarienne, Afr. Rom, N° XV, T 3, Ai confini dell'Impero : contatti, scambi, conflitti, Atti del XV convegno di studio, Tozeur, 11-15 dicembre 2002, Carocci, Roma, 2004, p 286.

[33] A.E, 1985, 902. ; Martin (J), op-cit, pp 81-83, N° 14. ; Hamdoune (Ch), les mondes…, op-cit, p 166. N° 52.

[34] C.I.L., VIII, 8828 = 20630 = I.L.S, 6889 = A.E, 1971, 533. ; Benseddik (N), Les Troupes.., op-cit, pp 32-33, Insc. N° 16. ; Pflaum (H-G.), Les carrières procuratoriennes, op-cit, p 840.

[35] Speidel (M), Numerus Syrorum Maluensium. The Transfer of a dacian army unit to Mauretania and its implication, Dacia, XVII, 1973, p 169.

[36] C.I.L., VIII, 8826 = 20628.

[37] Lengrand (D), op-cit, p 229.

[38] C.I.L., VIII, 9 327 (= I.L.S., 2 750) ; Pflaum (H-G.), op-cit, pp 736-737, n°278. ; Leveau (Ph), op-cit, p 179, N° 45. ; Camps (G), Qui sont les *diis Mauri* ?, Ant. Afr., N° 26, 1990, p 148.

[39] Leveau (Ph), op-cit, pp 179-180.

[40] Pflaum (H-G.), op-cit, pp 736-737

[41] Bénabou (M), op-cit, p 454.

[42] Lengrand (D), Le limes intérieur…, op-cit, pp 229-230.

[43] Leveau (Ph), op-cit, pp 156. 179-180. ; 186-191.

[44] C.Í.L., VIII, 9 643 = (I.L.S., 6 880).

[45] C.I.L., V, 5267= (I.L.S., 2721).

[46] C.I.L., VIII, 9195 .; A.E, 1993, 1781.

[47] Cesare Letta, I praefecti di tribù non urbanizzate in Africa e in Europa, op-cit, p 2104.

[48] Leveau (Ph), op-cit, p 180.

[49] Pline, V, 9.

[50] Leglay (M), Sat. Af. Mon, II, p 311, D'après Bénabou (M), op-cit, p 452.

[51] Desanges (J.), Catalogne des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest de Nul, Dakar, publication de la section d'histoire, 1962, p 61.

[52] Ammien Mar., Histoire, T. VI, trad. Sabah G., CUF, Les Belles Lettres, Paris, 1999, XXIX, 5, 21, 33, 35.

[53] Ammien Mar., XXIX, 5, 32, 33.

[54] Leveau (Ph), op-cit, pp 183-184.

[55] C.I.L., VIII, 9010 .; Vigneral (D.E), Les ruines romaines de l'Algérie, Kabylie du Djurdjura, Paris 1868, pp 88-89.

[56] Courtois (C), Les Vandales..., op-cit, p 120, n. 2

[57] Leveau (Ph), op-cit, p 184.

[58] Duval (N), L'iconographie des villas africaines et la vie rurale dans l'Afrique romaine de l'antiquité tardive, III[e] Colloque international d'Histoire et Archéologie d'Afrique du Nord, Paris, 1986, pp 163-176.

[59] Lengrand (D), op-cit, p 231.

[60] Gsell (S), Les Monument Antiques de L'Algérie, TI1, Ancienne Librairie Thorin et Fils Albert fontemoing Éditeur, Paris, 1901, pp 100-106. ; Laporte (J-P), Les révoltés dans la guerre de Firmus en Maurétanie césarienne (370-375, dans La guerre dans l'Afrique romaine sous le Haut-Empire, Actes du CXXXVÎ° Congrès national des sociétés historiques et scientifiques « Faire la guerre, faire la paix››, Perpignan, 2011, Sous la direction de Michèle Coltelloni- trannoy et Yann Le Bohec, Éditions du Comité des travaux historiques et scientifiques Collection CTHS Histoire, 2014, pp 136-137.

[61] Février (P-A), Le Monde Riral du Maghreb antique (approches d'Historiographie du XIXe siècle", dans Histoire et archéologie de l'Afrique du Nord, IIle coll. international, Montpellier, 1985 (1986) ? pp 87-105. ; Lengrand (D), Les Notables et leur propriétés : la formule in his praediis dans l'empire romain, R.E.A, N° 98, 1-2, 1996, pp 109-131. ; Laporte (J-P), Les révoltés ..., op-cit, pp 135-139.

[62] Leveau (Ph), op-cit, p 184. N° 58.

[63] Desanges (J.), Catalogue.., op-cit, p 65. ; Leveau (Ph), op-cit, p 184.

[64] C.I.L., VIII, 9008.

[65] Leveau (Ph), op-cit, p 184. N° 58.

[66] C.I.L, 9613. ; Leveau (Ph), op-cit, pp 173-174. ; Hamdoune (Ch), op-cit, p 166, N° 58.

[67] Leveau (Ph), op-cit, pp 173-174.

[68] Ammien Mar., XXIV, 5, 21.

[69] C.I.L, 8414. 20321. ; Leveau (Ph), op-cit, p 185, N° 61.

[70] Leveau (Ph), op-cit, p 185. ; Bénabou (M), op-cit, p 452.

[71] Chausa (A.), *Los praefecti gentium...,* op-cit, p 2174.

[72] Bénabou (M), op-cit, p 455.

[73] Chausa (A.), op-cit, p 2174.

[74] Lengrand (D), op-cit, p 228. ; Ibid, Les Notables et leurs propriétés : la formule in his praediis dans l''empire romain, R.E.A, N° 98, 1-2, 1996, op-cit, p 288. ; Ibid, Le limes interne de la Maurétanie Césarienne..., op-cit, p 158.

[75] Chausa (A.), *Los praefecti gentium...,* op-cit, pp 2174-2175.

[76] Ibid, Modelos de reservas de indígenas en el África romana, Gerión., N° 12, 1994, p 98. ; Ibid, Ejército y ocupación territorial en el A´ frica romana, en Marruecos y Canarias, miradas cruzadas, Actas del Coloquio Encuentros: Marruecos/Canarias (Agadir, 6-7 noviembre 1994), (Publicaciones de la Facultad de Letras y Ciencias Humanas-Agadir, serie: Coloquios y Seminarios, 8), Agadir 2000, p 97.

[77] Bénabou (M), op-cit, p 455.

[78] Leveau (Ph), op-cit, pp 190-191.

[79] Lengrand (D), op-cit, p 237.

[80] C.I.L VIII, 21562. ; Hamdoune (Ch), Les Mondes Tribaux.., op-cit, p 156.

[81] Desanges (J), Un princeps gentis à Sétif, BCHT, n.s, 12-14, 1976-1978, [1980], p 128.

[82] Hamdoune (Ch), op-cit, p 156.

[83] Bénabou (M), op-cit, pp 456-457.

[84] Romanelli(P.), *Storia delle province romane dell' Africa*. In: *L'antiquité classique*, Tome 28, fasc. 2, 1959, pp 619-620.

[85] Matthews (J.F.), op-cit, p 170.

[86] Lengrand (D), Le limes interne..., op-cit, p 145.

[87] Hamdoune (Ch), les Mondes...., op-cit, p 121.

[88] Chausa (A.), *Los praefecti gentium...,* op-cit, p 2177.

[89] CIL VIII, 9835. ; Camps(G), Rex Gentium Maurorum et Romanorum Recheches sur les Royaumes de Maurétanie des VI^e et VII^e Siécles, Ant. Afr. N° 20, 1984, pp 183-218. ; Ibid, De Masuna à Koceila. Les destinées de la Maurétanie aux VI^e et VII siècles, in Histoire et archéologie de l'Afrique du Nord (II^e Coll. Inter.), Paris, 1985, pp 307-324. ; Jaubert (J.M), les Inscriptions d'Altava, op-cit, pp 126-127 N° 194. ; Fevrier (P.A.), Masuna et Masties, op-cit, pp 135- 138. ; Carcopino (J.), Un Empereur Maure inconnu d'après une inscription Latine récemment découverte dans l'Aurès "R.E.A, 1944, pp 94-120. ; Courtois (C.), Les Vandales et l'Afrique, op-cit, pp 335-336.

[90] Migliario (E), Migliario (E), "*Gentes foederatae*. Per una riconsiderazione dei rapporti romano-berberi in Mauretania Tingitana", in : *Atti della Accademia Nazionale dei Lincei. Classe di Scienze Morali, Storiche e Filologiche, Rendiconti*, 10, 3, 1999, p 454.

[91] محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني (بحث في منظومة التحكم العسكري "الليمس الموريطاني"، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 580، للمزيد ينظر الدراسة القيمة التي قدمها يوسف عيبش: الأوضاع الاجتماعية والإقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي، رسالة دكتوراه في تاريخ وآثار بلاد المغرب، جامعة منتوري، قسم التاريخ، قسنطينة، 2005-2006، ص ص 210-245.